# الأوذيسة

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

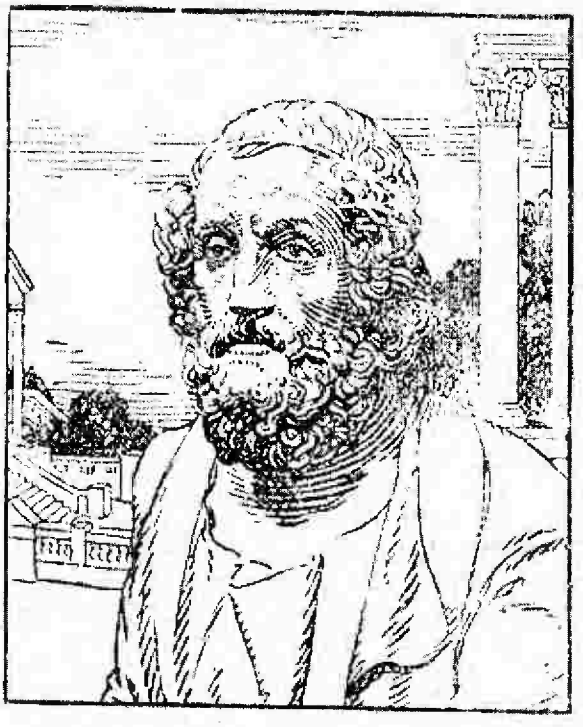

هوميروس

## حفل أولمبي

وصبغت أورورا بمثل حمرة الخجل وجنات المشرقين ، فاستيقظ الملك ، وهب أوديسيوس من نومه ؛ وذهبا إلى الشاطىء حيث تُلقى السفن مراسيها ... وهناك ... فوق مقعد حجري أملس ، جلسا يتحدثان ؛ بينما كانت مينرفا تدق البشائر في شوارع المدينة ، وقد بدت في صورة منادي الملك وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشيين وشيوخهم إلى مجلس الملك ، للنظر في أمر هذا الغريب الكريم اللاجئ الذي حل عليه ضيفاً ... « كأحد آلهة الأولمب ، برغم ضربه الطويل في عرض البحار »

وازدحم سادات المدينة وأشياخها في قاعة المجلس ، وكانوا يُقلّبون في أوديسيوس نظرات الاعجاب والدَّهَش ، وكيف لا ؟ وهذي مينرفا قد أضفت على صدره الرحب وكتفيه العظيمتين ، وجسمه السامق ، رُواءً عُلوياً من الأبهة والجلال ، كان ينعكس وقاراً ورهبةً في قلوب الفياشيين

### ملخص الفصول السابقة

« لم يعد أوديسيوس البطل اليوناني الكبير من طروادة بعد أن وضعت الحرب أوزارها بل ظل يضرب في البحار عدة سنوات مما أطمع أمراء النواحي في زوجته الجميلة ، فحاصروا بيتها وأتلفوا ثروتها وتربصوا لولدها تليماك ليقتلوه ! وهو عائد من أسپرطة وپيلوس بعد أن لقي ملكيهما ، وحدثه أحدهما عن مصير أبيه ... أما أوديسيوس فقد غرقت سفنه ، ونجا هو من الموت ، وسبح إلى جزيرة إحدى عرائس الماء ( كاليپسو ) التي هويته وشغفها حبه فأبقته لديها زمناً طويلا حتى أمرها زيوس كبير الآلهة باطلاق سراحه ومنحه سفينة يعود فوقها إلى بلده ؛ وقد أبحر على رمث صغير ظل البحر يلعب به حتى إذا بلغ أرض شيريا غرق الرمث وسبح أوديسوس إلى الشاطىء ، وفي الصباح لقي ابنة ملك الفياشيين في جماعة من أترابها يتلاعبن فوق الشاطىء ، فسألها أن تمنحه ثياراً يستر به عورته ؛ ورقت له الفتاة ، فأكرمت مثواه ودلته على بيت أبيها الملك الذي هش له وبش ، وعرض عليه أن يزوجه ابنته إذ لم يكن ثمة حائل دون ذلك ؛ وأرجأ النظر في عودته إلى بلاده إلى الصباح ... »

ولما انتظم عقد القوم نهض أليكنوس الملك ، فقال : ياسادة الفياشيين وشيوخ الأمة ، كلمة مرتجلة ، فاسمعوا وعوا : لقد حل هذا الضيف الكريم الذى لا أذكر اسمه فى بيتى بعد أن شرّق فى آفاق العالم وغرّب ؛ وإنه ليرجو أن تمدوا له يد المعونة فيعود أدراجه إلى بلاده فى كنفكم سالماً ، إذْ طالما كان هذا دأبكم ، إكرام الضيف ، والاحسان إلى الغرباء اللاجئين ، وردهم إلى ديارهم مهما كانت سحيقة آمنين . . . فالبدار إذن . . . هلموا إلى سفائنكم فتخيروا أحسنها حالاً ، وأصلحها لمجالدة هذا البحر ؛ ولتعدوا لها نخبةً ذوى بأس من أصاب فتيانكم عوداً وأشدهم مراسا . . . إثنين وخمسين عدداً من أينع زهرات شباب هذه الأمة . . . ثم تعالوا إلىّ فانى مولم لكم تحية لهذا الضيف ، فلا يتأخر منكم أحد أبدا . . . وليحضر معكم أحب المنشدين دمودوكوس الالهى ، صاحب الألحان الخالدة ، والصوت السماوى الساحر ، فليشنف آذاننا بحلو أنغامه التى لا يقدر عليها إلا هو . . . »

وانصرف الملك فى إثره شيوخ الفياشيين ، وانطلق رسول إلى منزل المنشد دمودوكوس الالهى . . . واختيرت النخبة ذات البأس من شباب الملاحين ، وأعدت السفينة فى مكانها الأمين من اليم ، فنصبت القلاع ونشر الشراع وصُفت المجاديف . . . ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ، حيث كانت الجماهير الحاشدة تكظ الأبهاء ، وتزدحم فى الدهاليز ، وتملأ الصالة الكبرى . . وجىء بالذبائح . . فهذان ثوران كبيران ذوا خوار . . . وهذى اثنتا عشرة شاةً سمينة ، وتلك أربعة خنازير كِناز[1] ما كادت تذبح وتنتزع أنيابها حتى أخذ الجميع فيما أقبلوا له من طعام وشراب . . . ثم أقبل منادى الملك يقود المنشد الألهى الأعمى ، رخيم الصوت ، صفى ربات الفنون ، اللائى عدلن له بقسطين من خير ومن شر سواء ، فوهبته التطريب المعجز ، وسلبته النور من عينيه العزيزتين . . . وأقيم له عرش مُمَرد فى وسط الصالة الكبرى ، عند عمود مرمرى عظيم ، فاستوى عليه ، وأعْلَمه يونتونوس بمكان قيثارته المعلقة فوق رأسه ، ووضع بين يديه سلة من طعام ومزّة[1]

وما كادوا يفرغون من آكلهم حتى رقصت عرائس الفنون فى فم المنشد المطرب ، فأرسل غناء سحر ألباب الناس ، ورقى بها إلى أثير الآلهة فى قبة السماء . . . لقد تغنى هذه الأغنية التى تنظم النزاع الذى شجر بين ( أخيل ) بن بليوس ، وبين أوديسيوس بن ليرتيس أثناء الوليمة الالهية ، والذى جاءت به نبوءة أبوللو ( فى دلفوس ) حينما استوحاه أجامنون عن يوم سقوط طروادة فى أيدى اليونانيين

وسكت المغنى ، ودفن أوديسيوس وجهه الساهم فى ذيل ثوبه الأرجوانى الفضفاض خشية أن يلحظه أحد . . . وطفق يبكى . . . ويستغرق فى البكاء ثم كشف عن جبينه ، وسقى الثرى كأساً من خمر صلاة الآلهة . . . ثم عاد إلى بكائه حينما وصل المطرب غناءه ، وكان يرسل عبراته فى كسائه غير ملحوظ من أحد إلا من أليكينوس ، الذى عز عليه ما رأى وما سمع من عبرات ضيفه ، ومن تنهداته ، فقال : « حسبنا ياسادة ما طعمنا وما سمعنا . . . هلموا جميعاً نشهد الضيف الكريم بعض ألعابنا ليذكر فى العالمين أن الفياشيين خير من يجرى ومن يثب ،

(١) كناز جمع مفرده مثله كثيرة اللحم والشحم

(١) حر لذيذ الطعم

وأمهر الناس فى اللكم والمصارعة ! »

ونهض الملك ، ونهض فى إثره كل أضيافه ، وتقدم المنادى فقاد دمودوكوس ، وقصد الجميع إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث احتشدت كواكب الشجعان والشباب اليانع من ذوى القوة والفتوة والبأس الشديد ، أتوا من كل حدب لهذا الحفل المشهود ... وفى وسط الحلبة وقف الأبطال آكرون وأوكيال وإلاتريوس ونوت وبرمنيوس ؛ ثم وقف خلفهم الأبطال أنخيال وأنابيسين وإرتميوس وبونت وبرور وأمفيال وتون ... ثم نهض حليف مارس المهوب يوريالوس ، ثم فخر شباب الفياشيين نوبوليد ... وقف كل هؤلاء ... ثم هب أبناء الملك الثلاثة ... لوداماس ولده البكر ، ثم هاليوس ، ثم كليتون الأصغر ، وشارك نفر من أولاء فى سباق الجرى ، فأخذوا أهبتهم ، ثم انطلقوا يثيرون التراب فى أثر كليتون — ابن الملك — الذى شأهم[1] جميعاً ، وتركهم يتعثرون وراءه كما تتعثر الثيران فى إثر البغال ... وتلقاهم النظارة بالهتاف العالى والتصفيق الشديد ، ثم كانت المصارعة التى برز فيها يوريالوس على كل أقرانه ، كما برز أمفيال فى الوثب الطويل ، والاتريوس فى قذف القرص ... أما فى الملاكمة فقد تفوق لوداماس النبيل ابن ملك شيريا ، وكان فوزه مسك ختام المباريات ، ثم نهض لوداماس فقال :

« والآن أيها الأصدقاء نسأل ضيفنا الكريم إذا كان يحذق شيئاً يفخر به من هذه الألعاب ؟ ! إنه ما يزال غريض الشباب ، بادى الفتوة ، مكتنز العضلات ، عظيم مُنَّةِ الساقين والفخذين ، مفتول الساعدين ، وإن له لعنقاً أى عنق ... كل ذلك برغم بدّوات الضنى وأمارات العناء ، وما حطم البحر من جسمه الخصب ، وهل أهلك لجسوم الرجال من أجبال العباب ؟ ! »

وكأنما راقت هذه الكلمات البطل يوريالوس فطاب إلى لوداماس أن يدعو الضيف إلى النزال ، فنهض لوداماس ثانيةً وقال : « هلم أيها الضيف فأرنا هل تجيد من هذه الألعاب شيئاً ؟ إنه ما استحق أن يعيش من لم يعمل بيديه ويسع بساقيه ... هلم ؟ حاول إذن : فيم احترازك هكذا ؟ إنا لن نؤخرك قط ، فالسفينة ممدة والملاحون على أهبة »

وقال أوديسيوس يجيبه : « أتتخذنى هُزُواً حين تدعونى للعب يالوداماس ؟ ! أى لهو وأى لعب وأنا نضو أسقام وطريح آلام ، لا أمل له إلا أن يعود إلى بلاده ، وفى ذلك ما يضرع للملك وللناس ! »

وهبّ يوريالوس يصيد[1] ويقول : « كلا أيها الصديق ... إنى عزيرك ، فسيماك لا تنبىء عن رجل رياضى ، بل أكبر الظن أنك من رجال الأعمال أو حَفَظَةِ المخازن ... أو ... إن لم يخب حدسى ... من أدلاء السفن فى الثغور ؛ ومن يدرى ؟ فقد تكون عيّاراً أو قرصاناً ! ! »

وعبس أوديسيوس وبسر ، وانتشرت فوق جبينه ظلمات من الهم ، وتهدج صوته فقال : « إنك لم تحسن كيف تتكلم أيها السيد ، وإنك لم تبال أن تطلق فىّ لسانك بهجر القول كأنى رجل لا اعتبار لى ... على أن الآلهة — جلّت وعلت —

(١) سبقهم ( هامش القاموس )

(١) يجهر بالقول

لم يتفق أن منحت أحداً من العالمين كل آلائها فى وقتٍ معا . . . بسطة الجسم ورجاحة العقل وقوة البيان ... فقد يلوح لك هذا الرجل مُهدّماً محطماً فى حين قد وهبه جوف بياناً متيناً ولساناً مبيناً حتى ليخاب ألباب سامعيه ، وحتى ليرتفع فى نفوسهم إلى مصاف الآلهة . . . وقد تنظر إلى ذاك الرجل كأنما تتدفق فى عضلاته قوى السماء ، وهو لايحسن أن يقول كلمة ... مثلك ... مثلك تماماً ... فلقد أوتيت بسطة فى الجسم ، حتى لتوشك فى ذلك أن تكون مثالاً تقيس عليه الآلهة ، إذا أرادت أن تخلق ماردا جبارا . ولكنك — وا أسفاه ! — لم تؤت بياناً ولا حكمة ! فلقد أثرت ثائرى بكلماتك الغلاظ . . العجاف ! إنى — أيها السيد — كما ذكرت — لا أحسن من هذه الألعاب قليلاً ولا كثيراً ... ولكنى كنت فتاها وفارس حلبتها أيام كنت شاباً يافعاً غض الاهاب ريان الشباب ... أما أنا الآن ! فوا أسفاه ! ! إن حِدْثان الزمان لم يُبق منى ... ولا على ! لقد ذبل شبابى فى نقع الحروب وسوح الوغى ... وفى هذا البحر اللجى يغشاه موج من خلفه موج ... كالجبال ... بيد أننى ... على الرغم مما ينقض ظهرى من ويلات ، سأثبت فى سجل شجاعاتكم قوتى ! فان لما عرفت به من قول السوء لأنياباً تعضنى وتنهشنى . . . أو أدل على قوتى وجبروتى . . . »

وكان إلى جانبه قرص القذف الذى يستعمله أبطال الفياشيين فى مبارياتهم فانقض عليه واحتمله بيده القوية المفتولة ثم دفعه دفعة هائلة كان لها هزيم وقصف ، واستهولها بحارة الفياشيين الشجعان فخفضوا رؤوسهم حتى استقرت بعيداً خلفهم ... وهنا بدت مبزغا بين الملأ فى صورة أحدهم ، وهبت عجلانة تقيس مدى القذفة ، ثم قالت : « ألا أيهذا الغريب ! الأعمى نفسه لا ينكر برهانك الدامغ القوى ! إنه مدى لا يستطيعه أحد غيرك ، فتيهْ على هؤلاء الفياشيين ! إن منهم من لا يستطيع أن يباريك فى أى من هذه الألعاب فادعهم إليك وما عليك من بأس »

وشاءت الكبرياء فى نفس أوديسيوس حين سمع هذا الهاتف من صميم الفياشيين يطريه ويثنى عليه وينصب من نفسه قاضياً له ، فقال ، وقد انكسرت حدة غضبه :

« هلموا أيها الشباب فاقذفوا هذه القذفة ، أقذفْ أبعد منها وبقرص أكبر وزناً ! ! هلموا ! ! ليأت أقوى ملاكميكم فانى له ! وليقف أشرى مصارعيكم فأنا أخوه ! وليجرِ معى أسرع عدّائيكم فلن يلحق غبارى ! لقد هجتم ثائرى فهلموا ! إنى أتحداكم جميعاً إلا لوداماس فانه مضيفى وصاحب قِراى ، وليس بى أن أنازل من أكرم مثواى فى دار غربتى ؛ وليس بى من النزق ما يحملنى على شىء من ذلك ... أما غيره فأنا له ، وسيعلم منازلى مهما يكن مبلغ قواى ... إنه ليس من ألعاب الناس ما يعجزنى ... فأنا رب القوس ، وطالما صرعت الألوف من الأعداء تحت أسوار طروادة ، وأبدا ما رمى أحدهما كما رميت إلا فيلكتيتس يوم حاز قصب سَبْقِهما دونى . . . على أنه من أنا ؟ ؟ إننى لم أبلغ من الحول بعض ما بلغ هرقل أو يوريتوس الذى نفس عليه أبوللو مهارته فى الرماية فقتله ... هذا ... وإذا ذكر الرمح السمهرى ، فانى أبلغ به المدى الذى لاتبلغه سهامكم ! ! على أننى لاأطمع أن أبلغ خفتكم ورشاقة حركاتكم — فلقد قاسيت من الأرزاء ما قصم ظهرى ، وصارعت

موج هذا الخضم حتى حطمنى وأوهانى ، ولقيت من الطوى ما يرانى ! ! »

وصمت الفياشيون ولم يهمسوا . ثم تكلم الملك فقال : « عمرك الله أيهذا النازح الكريم لقد جلجلت فى آذاننا كلماتك ، فدلت على شجاعة وعنفوان ، وأخمت هذا الشاب الذى جرح عزتك وأهان كبرياءك أمام الجميع ، ثم سكت عن تحديك .. ولكن تعال فانظر إلى ما تريك من ضروب الخفة وفنون الرقص وفتون الغناء والسبق فى العدو ، ومهارتنا حين نسوس الفلك فوق أعراف الموج ورغاء الثبج ، كيما تتحدث بهذا كله إلى أقرانك وبين ظهرانى قومك ، وتحكيه لأطفالك . عمرك الله أيها الغريب المكرم إنه لا فخر لنا فى ميدان اللكم والمصارعة ، بل غاية المتاع عندنا ثوب مُوَشّى ، وطعام ملوّن ، وقيثار مُرِنّة ، ورقصة خاطفة ، وحمام داف وفراش وثير ..... والآن ... هلموا أيها الفياشيون فالهوا أمام ضيفكم والعبوا ، وأروه من رقصكم وشنفوا أذنيه بغنائكم ، فلسوف يتحدث بكل ذلك فى الآفاق ، وحسبكم أن يذكر عنكم أنكم أمهر من ركب البحار ! ... هلموا ... ليحضر أحدكم دمودوكوس الآلهى ... يعزف على قيثاره ويتلاعب بقلوبنا بغنائه ... ابحثوا عنه فى بعض ردهات القصر ... »

وانطلق منادى الملك يبحث عن المطرب الآلهى ، وانطلق آخر بعد قيثاره ، ثم نهض تسعة فياصل يمهدون أرض الملعب ويهيئون الحلقة ، ويزحزحون الجماهير ... وأقبل المنادى والمطرب يسعى بين يديه ، وجلس فى وسط الحلقة حيث أحدق به الولدان اليوافع اليوانع يميسون ويرقصون بسيقان تخطف كمثل خطيف البرق ، بين دهش أوديسيوس وشدة تعجبه ، والمطرب فيما بين ذلك يوقع لهم النغم الحلو ، والموسيقى العالية ... وفرغوا من رقصهم ، فشرع المنشد يتغنى أسطورة مارس ومعشوقته الآثمة سيثريا[1] إذ أغواها رب الحروب المشتهر بمسول الكلام ومطاول الغرام فاستلانت له ... وكان أبوللو — إله الشمس — يرقبهما من مركبته الذهبية فى علياء السماء ، فطار بالفضيحة المشئومة إلى الزوج التاعس ... ڤلكان ... الذى استطير وثار ثائره ، فراح يصنع أنشوطة كبيرة كالشرك من حلق الحديد المفرغ الذى لا يقوى عليه أحد ، حتى إذا فرغ منها حملها إلى داره ودسها حول سريره ثم ألمّ بالمنعرج النجس حيث أوى مارس إلى ڤينوس — الزوجة الآثمة — وكان مارس يغالب فى عينيه أخريات غفوة الضحى ، فلمح ڤلكان يطوى الرحب إلى أرض لنوس — أحب المدائن إلى قلب الإله الحداد ... وطرب مارس أيما طرب ... وأيقظ معشوقته قائلا : « هلمى ڤينوس ... إنهضى أيتها الحبيبة ... لقد ذهب زوجك إلى لنوس أرض البرابرة ... هلمى إلى البيت ... إلى السرير الدافئ ... إلى الحب ... إلى نعيم الهوى ! ! » وهبت ڤينوس ... وانطلق الأثيمان إلى سرير ڤلكان ، وفى قلب مارس غلة ، وملء جوانحه غواية وإثم ... وفى دمه شبق إلى هذه الفاكهة يكاد يقتله ... ولكن ... وا أسفاه ! إنهما ما كادا ينطرحان فوق الفراش الوثير حتى انطرحت فوقهما الأنشوطة الهائلة ... وأمسكت بهما إمساكا شديداً ... لم يجدا منه حِوَلا ، ولم يجدا منه مَخلصاً ... وكان أبوللو يرقبهما كذلك ، وقد حدث ڤلكان بما رأى .. فعاد الإله الحداد

(١) ڤينوس

على عجل ، ولم يكن قد بلغ شطئان لنوسى بعد . . . وكان قلبه يدق ... لا ... بل كان قلبه يكاد ينخلع فوقف فى البهو الكبير ثم أرسل صيحة مدوّية يستصرخ بها الآلهة : « يا جوف المظيم ! يا آلهة الخلود جميعاً ! أنظروا ! إشهدوا كيف تفضح ڤينوس زوجها مع عشيقها الفاجر مارس ! ولِمَ ؟ لأنه وسيم قسيم قوى ولأنى محطم منهوك موهون ! ذنب من ؟ إنها جريرة من أنسلونى وجاؤا بى إلى الحياة ! أنظروا كيف يتمرغ الشهوانيون الفسّاق فوق فراشى ! لقد تثلجت مشاعرهم فهم لا يبالون أن يأكلنى الغيظ أو يقتلنى الحنق ... ولكن لا .. حسبهم هذا الشرك الذى لن يفلتهم حتى يرى جوف فيهم رأيه . . جوف الكبير المتعالى .. والد ڤينوس ! الذى أطلب إليه أن يرد إلى قناطير الهدايا الزوجية التى قدمتها باسم ابنته العاهرة كشروط لاطلاق سراحها ! »

ولم يكد يفرغ من صرخته حتى اجتمع فى بيت جوف ذى الأرض النحاسية جميع الآلهة ... وكان أول من أقبل نبتيون رب البحار ، ثم تلاه هرمز رسول الآلهة وصاحب القوس ، ثم أبوللو ... ثم غيرهم وغيرهم . . . ولم يحضر من ربات الأولمب واحدة ! فقد احتجزهن الخجل عن شهود هذه الفضيحة ! ثم أطل الآلهة يقهقهون ويضحكون . . . ويتلهون بهذا المنظر العجيب ، ويقول بعضهم لبعض : « يا للاثم ساق إلى أوخم المواقب ! ويا للأعرج الأكسح ، يشائى[1] السبّاق المجلى ! ! لقد استطاع ڤلكان أن يمسك بتلابيب مارس ، الذى هو من هو ... ! مارس ! أسرع عدائى السماء ! إن عليه أن يؤدى الغرامة الفادحة للأله الأعرج ... » ... ثم خاطب أبوللو — رب الشعاع الوضاء — هرمز فقال : « يا ابن چوف ، يا رسول السماء ، ألك فى هذه الغفوة الحلوة فى حضن ڤينوس ، على أن تقع معها فى هذا الشرك ؟ » وأجابه هرمز عابسا : « يا رب الرماة ! بنفسى بنفسى ! ! منذا الذى يأبى حضن ڤينوس فى شرك هو ثلاثة أضعاف هذا الشرك ، على أن يرمقه سكان الأرض والسماء ؟ ! » ؛ وتضاحك سكان السماء ، ولكن نبتيون الذى ساءته هذه الحال خاطب ڤلكان فقال : « هلم ڤلكان ففك هذه السلاسل والأغلال ، وإنى زعيم لك كفيل أنه مؤد إليك كل ما تفرض عليه من غرم ! » ... ورفض ڤلكان أن يطلق فريسته ... « لأنه من يضمن ألا ينطلق مارس وهو لا يلوى على شىء ، غير عابىء بكل ما عساه أن يعد ؟ » . وقال رب البحار : « ليطمئن قلبك يا ڤلكان ، فوعزتى وجلالى إن لم يف مارس لأنجزن أنا ، ولأؤدين عنه غرامته ! ! » . فأجاب رب الحديد الصناع : « إذن ، فان يخيب رجاؤك ، ولن يرد طلبك : » وتقدم ففك الأغلال عن العاشقين الفاسقين ، وانطلق مارس إلى مأواه بأرض تراقية ، وانطلقت ڤينوس إلى مرتعها الجميل بأرض بافيا — حيث تلقاها ربات من أترابها بالبشر والترحاب ، فغسلنها ، وضمخنها بالطيوب القدسية ، وأسبلن عليها شفوف الصبى وأردية الشباب

* * *

وفرغ دمودوكوس من إنشاده بين تأثر أوديسيوس وتلهف البحارة الفياشيين ، ثم أومأ الملك إلى أبنائه فوثبوا وسط الساحة ، وأخذوا يرقصون فى خفة ، ويتقاذفون كرة غالية من صنع پوليب ، فكان أحدهم يرسلها عالية حتى تدنو من

(١) يسابقه فيسبقه

السحب ، فيثب الآخر فيلتقطها وهو معلق فى الهواء ، ثم يتقاذفونها أحدهم بعد الآخر ، بين تهليل الفتيان وتصفيقهم الشديد . ومر أوديسيوس مما أبداه أبناء الملك فى الرقص ، وأثنى عليهم لأبيهم ، ورجاه فى الذى رجاه فيه من تهيئة عودته ، فتوجه الملك إلى زعماء شعبه وقال : « يا زعماء الفياشيين وأشياخ الأمة ! حرى بنا أن نكرم مثوى هـذا الضيف الذى بدا لكم من وقاره وحكمته وأثير أرومته الشىء الكثير ... هلموا إذن ... إنكم إثنا عشر زعيما ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل منكم بدرة من الذهب وصداراً مُفَوَّفا فتكون من الجميع هدية سنية له ... أما يوريالوس فعليه هدية كذلك ، وعليه أن يعتذر مما فاه به . » ووافق الكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسلهم يحضرون البدَر والصُّدُر ؛ ثم نهض يوريالوس يعتذر ويقدم لأوديسيوس سيفا جُرازاً له مقبض من فضة ، وقراب مطعم بالعاج ؛ ودعا له أن تكلأه الآلهة بعين الرعاية حتى يرى زوجه وولده وبلاده ، بعد كل الذى احتمل من عناء ونصب . وتقبل أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن والسلم والرفاهية . ثم علق الجراز فوق كاهله الضخم

ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ، فنهض أبناء الملك يتسلمونها ، ويحملونها إلى داخل القصر ، ووصلت الهدايا الأخر مع غروب الشمس فنهض أبناء الملك يتسلمونها ويحملونها إلى داخل القصر ، حيث أمهم أريتا الملكة ... ونهض الملك فتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل الملكة أن تحضر ثوباً وأكسية ، وأن تعد صندوقا يتسع لهدايا الزعماء ، ملوك البحر ، التى حملوها على الضيف ؛ وقدم هو هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ، المحلى بأبهج الطرف وأبهى التصاوير ... « ليذكر به ، كلما أفرغ منه الخمر تقدمة الآلهة » . وسألها أن تعد للرجل حماماً ينعشه ، وأن تدع الأثواب والأكسية كيما يتدثر بها

وأمرت الملكة خدمها فأعدوا الحمام ، وأحضرت هى ثوباً فضفاضا فوضعت فيه بدَرَ الذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ؛ ثم تلفتت إلى أوديسيوس فقالت له : « والآن أيها السيد هلم فغلق هذا الصندوق فهولك ، لتكون آمنا عليه إذا غفوت فى السفينة . » ولبى أوديسيوس ، وأغلق الصندوق ثم ربطه بحبل طويل عقده تعقيدا . ثم دعته ربة البيت إلى حمامه ؛ ولله كم ألِفت عيناه حين رأى الثوب الديباجى العظيم ، الذى لم يلبس مثله منذ فارق كليپسو ... ثم اغتسل وتدثر ، وتضمخ بأحسن الطيوب ، وبرز كأحد آلهة الأولمپ ... وبينا هو يطوى الأبهاء إذا صوت جميل ذوغنة يهتف به ... وإذا هى الأميرة الفينانة — نوزيكا — واقفة خلف عمود عظيم وهى تقول : « س . س ..... أيها الغريب النازح اذكرنى دائما ، أنا ، أول من لقيك هنا ! ! » وتبسم أوديسيوس وقال : « نوزيكا ! ! أنت ؟ ابنة أكرم الملوك ألكينوس ؟ ! لك الله ! ألا وحق جوف رب الصواعق لو صحت الأحلام ووصلت سالما إلى بلادى لظللت آخر الدهر أعبدك عبادة أيتها الجميلة العذراء كما أعبد الآلهة أربابى ! » . وبلغ مجلس الملك فاستوى إلى كرسى بجواره ، واجتمع الفياشيون مرة أخرى ، ودارت الأقداح ، وأجلس المطرب الأعمى الآلهى ، فخرشيرا ، قريبا من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءاً من شواء حمله أحد النُدُل ، فأقبل عليه المطرب حتى اغتذى ؛ ثم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال : « كم أنت جدير بالثناء يا دمودوكوس ، بل أنت أولى به من أكثر الناس ! ليت شعرى ! هل

ثقفت موسيقاك على عرائس الفنون ، أم أنت قد حذقتها على أبوللو نفسه ! لقد أنشدت ما كان من جيش الآخيين كأنك كنت شاهد عيان ، أو كأن شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد لعمرك ! تحدث عن الحصان الهولة الذى صنعه إپيوس بارشاد مينرڤا ، والذى حمله أوديسيوس الجبار هو وصحبه إلى قلاع طروادة ، ثم اختبأ هو وهم فيه ، فكانوا أول خراب اليوم ! ! تغن ! إنى سوف أحمل اسمك فأنشره فى الآفاق أيها المطرب المعجز الذى لا يباريه إلا عازف موسيقى السماء ، أبوللو ! تقدس اسمه »

وتنزل أبوللو على لسان المنشد فراح يقص الوقائع الطروادية منذ حرق اليونانيون معسكرهم وبعد إقلاعهم من شطئان إليوم وذلك الانقسام فى الرأى بين الطرواديين عن الحصان الهولة أيقصمون ظهره أم يدقون عنقه أم يحفظونه تذكارا لهذه الحرب ونصيباً للآلهة ... على كل حال لقد نقلوا الحصان داخل أسوارهم ليكون القاضى عليهم بمن فيه من هذه النخبة أولى القوة من أبطال الأغريق ... وهكذا قدر عليهم فى الأزل أن يهدموا قريتهم بأيديهم ... تغنى الشاعر المتفنن بكل هذا ، وأثنى أيما ثناء على أوديسيوس الذى كان يكر كأنه مارس ، ومنالايوس الذى كان يفر كالصاعقة ، وعلى بقية الأبطال الصناديد الذين فازوا بالنصر فى ظل پالاس — مينرڤا — ربة الحكمة . وكان أوديسيوس ينصت إلى غناء المطرب وإنشاده ، ودموعه تنحدر غزيرة على خديه ، والآهات العميقة تشق صدره شقا ... كأنها آهات تلك الأم الرؤوم التى وقعت فوق جثمان زوجها الباسل تبكيه وتنعيه ، وقد سقط فى الحومة يدفع عن مدينته أعداءها ، وقد وقف من خلفها أبناؤها خُضر يتامى كأفراخ القطا ... ثم يقبل الأعداء فيخمدون أنفاس هذه الأم بضربة لازبة ، فتظار مرة إلى زوجها القتيل ، ومرتين إلى أبنائها التاعسين !! كذلك كان أوديسيوس وكذلك كان يخفى دموعه فى طرف ردائه فلا يراها أحد إلا الكينوس الملك الجالس قريبا منه ... وقال الملك متحدثا إلى رعاياه : « أيها الزعماء والأشياخ الفياشيون ، أولى ثم أولى أن يفرغ المنشد من إنشاده ، فلقد تصدع قلب ضيفكم ووهنت روحه مما يسمع من هذا القصص الحزين ! لقد أحببناه كأخ ووهبنا له محبتنا وودنا وصافى أخوتنا لا ليحزن أو يأسى ... والآن ! هل يسمح ضيفنا فيذكر لنا اسمه الذى يعرفه به آله ويدعونه به ؟ لقد كتم هذا عنا ، فهل ولد أحد ولم يحمل اسما ؟ من أنت أيها العزيز ، وما بلادك ؟ وإلى أين تحملك سفينتى ويبحر بك رجالى ؟ لقد منحنا نپتيون — رب البحار — الأمن فى ذلك اليم وذلل لنا غواشيه ، ولكنه ليس أشق عليه من أن تحمل سفننا أغرابا مثلك لا نعرفهم فنبحر بهم إلى بلادهم !! إنه يغضب علينا ، وقد يغرق سفننا تشفيا وانتقاما حينما تعود أدراجها إلى بلادنا ، فتهوى إلى الأعماق ثم يسحرها إلى جبل ناتىء فوق العباب ، قبل شيريا ! تكلم أيها السيد ! أصدقنا ! من أنت ؟ ومن أى البلاد قدمت ؟ وأين ضربت بطون الركائب ؟ وأى الأمصار شاهدت ؟ وماذا يفجر هذا الأسى فى أعماقك كلما سمعت عن جنود الآخيين وكلما ترددت فى أذنيك أغنيات طروادة ؟ إن الآلهة تحيك من حاضر المرء طيلسان الهموم لغده ! أقتل أبوك ثمة ؟ أم صرع أخوك تحت أسوارها ؟ أم قضى حموك فى ساحاتها ؟ أم أودى أصدقاء لك أحباء فى حلبتها ، كنت تعدهم كبعض أهلك ، أو أعز من أهلك ؟ تكلم ! »

( يتبع )

دريني خشبة

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر